

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ ملياً

الوقوفات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

أحمد الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥١٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ - الموافق ٣ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

قاسم أمين

للأستاذ عباس محمود العقاد

الفهرس

صفحة

قرأت في مجلة « روزاليوسف » حديثاً للسيدة الجليلة فريته
قاسم أمين رحمه الله ، نشرته المجلة لانقضاء خمس وثلاثين سنة
على وفاة ذلك الصالح الكبير ، وكان من المصادفات الموقفة أن
تؤدي هذا الواجب - واجب الذكرى - مجلة تصدرها سيدة .
ففي ذلك بعض الوفاء « المناسب » لموضوع الوفاء .
وقاسم أمين رحمه الله تحقيقاً بالتذكاري لغير سبب واحد :
تحقيقاً بالتذكاري لفراسة علمه ؛ وتحقيقاً بالتذكاري لفراسة قضائه ؛
و تحقيقاً بالتذكاري لدماثة خلقه ولطافة ذوقه وامتزاج الثقافة
الروحانية فيه بالثقافة الفكرية ؛ وتحقيقاً بالتذكاري قبل كل شيء ،
وبعد كل شيء ، لدعوته إلى إنصاف المرأة وإخراجها من رتبة
الظلم الذي كان محيطاً بها وبالرجال
كتبنا عنه قبل ثلاثين سنة في « خلاصة اليومية » قفلنا :
« إن المرأة المصرية مدينة لقاسم ؛ لأنها كانت سجيئة فأطلقها ،
وكانت أمة فأعتقها . والأمة المصرية مدينة لقاسم ؛ لأنها كانت
شلاء فأبرأها من ذلك الشلل الذي أمسك شقها عن الحركة
دهوراً وأعواماً . والإنسانية مدينة لقاسم ؛ لأنه أبقاها من رقب

- ٣٤١ قاسم أمين ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٣٤٤ الحديث ذو شجون ... : الدكتور زكي مبارك ...
٣٤٧ أيها النيل ... : الأستاذ درويش خبطة ...
٣٥٠ « سليمان الحكيم » ... : الأستاذ سيد قطب ...
لتوفيق الحكيم ...
٣٥٣ ليلى والجنون ... : الدكتور محمد مصطفى ...
٣٥٦ ابنم لحياء [قصيدة] : الأستاذ محمد عبد النبي حسن
٣٥٦ دير الحياة ... : الأستاذ محمود ممد ...
٣٥٦ السيل القوم .. : الأدب عبد القادر محمود ...
٣٥٨ هل قتل ذو القرنين بيد التتر : الأستاذ عبد النعال الصبيدي
٣٥٨ ضبط الخلاف بين العربية { (...) ...
والعامة ممكن ...
٣٥٩ ذو القرنين غير الاسكندر { الأستاذ محمد عبد الله الجزاز
المحدثون ...
٣٥٩ حول مقال « أثر المرأة { الأستاذ حسن كامل الصيرفي
في طي محمود طه ...
٣٥٩ نزول هيسى ... : ...
٣٥٩ طاعة الثمراء ... : ...
٣٦٠ إلى الأستاذ حبيب الزحلاوي : الأستاذ محمد توحيد اللبحار بك

لا تجرؤ مصلحة الرفيق على مطار دتمه والفخر في تحرير المرأة لا يزال الآن وبعد الآن من نصيب قاسم . أما من قفوه في هذا المقصد فهم إنما درجوا على طريق بيئة الآثار وسلوكوا في منهج مأبور . وقد مضت الآن خمس وثلاثون سنة على وفاة قاسم ، ومضى نحو خمسين سنة على دعوته الأولى في سبيل تحرير المرأة ، وولد في يوم دعوته - بل في يوم وفاته - بنات يعشن الآن ويحسبن من الرجميات المتخلفات ، لأنهن يتحرجن من أشياء لا يتحرج منها بناتهن الناشئات اللاتي ولدن متحررات ، وغلون في الحرية أبعد الغلواء ، ولما يسمعن باسم قاسم أمين ولا بالدعوة التي دعاها . لأنهن أخذن الحرية من عدوى المجتمع ولم يأخذنها من معرفة الحقوق ولا من العناية بنهضة المرأة

وإنصاف قاسم يستدعينا إلى تقرير هذه الحقيقة . فإن عدوى المجتمع شيء ودعوة قاسم إلى تحرير المرأة شيء آخر ، وإنما اللوم كل اللوم فيما نعييه الآن من الشطط والبهرج الكاذب إنما هو من عدوى المجتمع لا من الدعوة القاسمية التي لا يزال لها فضلها ولا يزال لها حقها من الثناء وإن شط بها الطريق على غير ما أراد صاحبها ، وعلى غير ما يستطيع أن يريد قاسم أمين قد رأى خطأ فنبه إليه

ويكفي أن يثبت الخطأ ليثبت الفضل في التنبيه إليه . ثم يكفي أن يكون التنبيه إليه شجاعة وتضحية ومجازفة بالمصير لينغم صاحبه منا حمد الشجاع المقدم على التضحية في سبيل الخير والفلاح ، ثم لا عليه بعد ذلك من الخطأ الآخر الذي جاءت به الحوادث ولا جناح عليه فيه

مثل قاسم أمين في دعوته إلى تحرير المرأة مثل محام فاضل غيور على حقوق الناس رأى إنساناً يساق إلى السجن بغير جريمة معروفة وبغير حجة مشروعة يقبلها القانون ؛ فنضب المحامي الفاضل الغيور على الحقوق غضبة الكرامة الإنسانية ، وجهد في إطلاق ذلك السجين جهده المستطاع ، وبر بذمة القانون وذمة الصناعة وهو يخرج من السجن ويسلمه إلى الطريق الطليق . ثم دم التزام ذلك السجين المظلم على مدى خطوات من سجنه فات ؛ أو بدا له أن يمرج على حانة فيذهل عن صوابه ويمتدى على رىء أو يصاب بما يسفمه ويخنيه

هو لو بقي في السجن لما قتله الترام ، ولا وصلت يده إلى الكأس أو أقدم على العدوان ولكن الرأى فيمن ظلمه وأدخله السجن ، وفيمن أنصفه وأخرجه منه ، لا يختلف مع كل ما حدث أو يحدث بعد انطلاقه فلا يقول أحد فيه ذرة من إنصاف أن ظلمه خير من منصفه ، وأن إدخال الناس السجن بغير الحق عمل أشرف وأكرم من إعادتهم إلى الحرية وفقاً لحكم القانون

والذي حدث في الدعوة إلى تحرير المرأة شبيه بهذا من وجوه كثيرة . فإن الذي أنكره قاسم من ظلم المرأة وحرمانها العلم والتربية والرعاية الإنسانية لتحقيق الإنكار ، وتحقيق بأن يتبدل أو يزول . وهنا صنع قاسم ما لا بد أن يصنع ، وقام بالواجب الذي تكس عنه آخرون . فوجب له الحمد وعرفان الجليل ، وإن ذهبت المرأة بعد ذلك في حريتها مذهباً لم يكن ليرضاه دعوة قاسم هي فضيلة قاسم التي تحسب له ولا تحسب عليه أما « عدوى المجتمع » فليست من فعله ولم يكن في يديه أن يمنحها ولو كلف عن دعوته وسكت عنها في زمانه كل السكوت فهذا الشطط الذي نراه اليوم إنما نشأ من أمور كثيرة بمزول عن الدعوة القاسمية وعن كل دعوة من قبيلها

نشأ من رؤية المرأة الأوروبية في مصر بالثلاث والألوف ، ثم هجوم الناس على المحاكاة العمياء بغير تفرقة بين الأحوال عندنا والأحوال عند الأوربيين

ونشأ من الصور المتحركة التي تعرض لنا كل يوم مغائن الحياة الغرامية بين الجنسين على نحو يراد به الإغراء وقلما يراد به التعليم والتهديب

ونشأ من انتقال الألوف من أبنائنا إلى أوروبا يعيشون هناك كما يعيش الشبان اليسورون في غير رقبة ولا تقيد بالعرف الشرقي الذي نشأوا عليه

ونشأ من القراءة الرخيصة التي يصح أن يقال فيها ما يقال في العملة « إن الردىء منها يطرد الجيد من الأسواق » ونشأ من الأزمات الاقتصادية ثم من تداول الضنك والرخاء على البلاد ، وفي هذا التداول ما فيه من إفساد الأخلاق وزلزلة العرف والبيئة

عن إظهار الوجه واليدين والقدمين ولا يتجاوزوه إلى إظهار العورات وإلى اختلاط المرأة بالرجل على النحو الحاصل الآن . وإلى اعتقاد أن قاسم بك لو كان حياً لساخرنى . عن هذه الحال بل لا نبرى لمهاربتها . ويحزننى أن أرى الكثيرين يسيثون إلى قاسم أمين إذ يحملونه المسؤولية عن هذا التهلك وينسبونه إلى دعونه ، فيدللون بذلك على أنهم يسيثون فهم الدعوة »

وصدقت السيدة الجليلة في قولها عن مقاصد قريبها الكريم وهى بها أدرى . فقد أراد قاسم عزرة للمرأة تخرج بها من ذلة الجهل وقعد المشيئة ، فإذا بها قد وصلت إلى ذلة أخرى أسوأ لها من الذلة الأولى ، لأنها من طريق المشيئة والحرية التى لا تحسنها فالعوارض التى نراها الآن إن هى إلا عوارض الضعف عن حمل الحرية قد أصيب بها النساء كما أصيب الرجال في المرحلة الحاضرة ، وغاية ما نرجوه أن تكون مرحلة انتقال وراءها مراحل استقامة وصلاح

عدت إلى كتب أدبائنا منذ أسبوعين لأكتب عنهم في مجلة « الإثنين » فقرأت في فيض خاطر للأستاذ أحمد أمين مقالاً عن حرية المرأة بين جيلين يقول فيه بلسان البنات وهن يخاطبن أباهن :

« يا أبانا الذى ليس في السماء ارفقت أمنا فرقصنا ، وشربت أمنا فشربتنا ، وشربت سرّاً فلنسمح لنا بحكم تقدم الزمان أن نشرب جهراً ، ورأينا في روايات السينما والتشيل حياً فأحببنا ، ورأينا عرباً على الشواطىء ففتربتنا ، وتزوجت أمنا بإذن أبيها فلفترج نحن بإذنتنا . قال : نعم . قلن : وقد أوصتنا أمنا أن نركب الزوج ولكننا أمام مشكلة يشغلنا حلها . فإنا نرى شبان اليوم متمردين لا يخضعون خضوعك ولا يستسلمون استسلامك ، فأرادتهم قوية كإرادتنا ، وهم يحبون السلطة حبنا ، فهم أحرار ونحن أحرار ، وهم مستبدون ونحن مستبدات ، فكيف نتفق ؟ »

والذين نراه أن شكوى الجيل الحاضر من مشكلة الزواج أعظم من شكوى الجيل الغابر الذى منه آباؤهم وأمهاتهم ، فليست المسألة قوة إرادة من هذا الجنس أو من ذاك ، ولكنها مسألة حرية لا يقوى على علاجها هذا ولا ذاك . وإن هان شأن الفتاة حيناً فإن شأن الفتى ليهون في حين آخر على حسب

ونشأ من معقبات الحرب الماضية التى عمت جميع الأقطار ، ولم تحسنا نحن الشرقيين أو نحن المصريين

وهذه كلها أسباب أين منها دعوة قاسم أمين وأين منها جهود قاسم أمين أو جهود نفر من المصلحين ؟ إن القدوة الاجتماعية لتصنع الكثير ولو قامت في طريقه المعقبات ولم يرتفع بالدعوة إليه صوت داع من الدعاة ؟

فلم يقم في مصر « قاسم أمين » يؤلف الكتب ويستهدف للعلام في سبيل « التنحيف » وإفلال الطعام

وإن الإقلال من الطعام لمسير جد عسير ، لأنه تضيق على الحرية وتضيق على الجسم في وقت واحد ... ومع هذا تعسر المرأة على الحرمان والشدة وتزهد في الطعام المشتهى لتظفر « بالنحافة » المومقة التى فرضتها الممدوى الاجتماعية ولم تفرضها على المرأة دعوة ولا عقيدة

بل فرضت الدعوة القوية صيماً في وقت من أوقات السنة وأُنذرت على تركه بالمقاب في الدنيا والآخرة ، فلم تصم امرأة واحدة لاتقاء هذا المقاب إلى جانب عشر نساء ممن يصمن في العام كله مرضاة للعرف وتلبية للممدوى الاجتماعية . وما كانت دعوة قاسم رحمه الله بأقوى من دعوة الصيام ونذير المقاب على تركه باسم الدين

إنما هى آفة الإصلاح حيث كان وإنما هى القسمة السيئة التى يصاب بها المصلحون في الخطية وبعد المات

ففي حياتهم يكرهون ويصابون وبعد حياتهم تعرض لدعواتهم العوارض التى لا ذنب لهم فيها ولا قدرة لهم عليها فيلأمون من حيث يسكت الناس عن علة اللام وقد تشمر دعواتهم أحسن الثمر بعد زمن طويل ، فإذا الناس يستمتعون بالثمر وينسون غارسيه ، ولعلمهم إن ذكروهم لا يشكرون ولا يكثرثون

ذلك كله حق نلحه ديننا ونلسه بأيدينا كل يوم ، فإن أوجب علينا شيئاً فإنما يوجب علينا أن نضاعف الجزاء للمصلحين الذين يساء إليهم بمقدار ما أحسنوا ، وإنهم لأقرب الناس بإحسان

قالت السيدة الجليلة قريبة قاسم بك في حديثها الذى أشرنا إليه : « إنما كان قاسم ينادى بالسفور الشرعى الذى لا ينجيد